٤

السمو الروحى بإخلاص الأعمال كلها لله

- الإخلاص فى العقائد.
- الإخلاص فى العبادات.
- الإخلاص فى المعاملات.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع
السمو الروحى بإخلاص الأعمال كلها لله

مقدمة:

الإخلاص لله هو أن يأتى الإنسان بأعماله نقية، لا يشوبها رياء، قيامًا بالواجب سواء كانت فى العبادات (أى فى الشعائر التعبدية)، أو فى سائر الأعمال، قاصدًا بذلك وجه الله ورضاه.

والإخلاص صفة من الصفات الروحية التى تسمو بالإنسان إلى منزلة رفيعة من الخلق الإنسانى... فأهواء النفس، والرياء، والغايات الشخصية التى تقوم على الأثرة والأنانية يحاربها الإسلام ليحل محلها الإخلاص لله... ولهذا أولى الإسلام الإخلاص اهتمامًا خاصًا، وقرنه بالعبادة بمفهومها الشامل، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(البينة:٥). وقال سبحانه: ﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾(الزمر:٢).

وليست العبادات قاصرة على تلك الشعائر التعبدية، من صلاة وزكاة وصيام وحج ونحوها... وإنما العبادات فى الإسلام تتسع لتغطى كل جوانب الحياة، فتشمل كل الأعمال التى يبتغى بها وجه الله، وتؤدى بالكيفية التى ترضيه.

ولما كانت الأعمال الخالصة لله وحده –من شعائر تعبدية أو أعمال– لا بد لها من سابق نية وعزم، نجد الإسلام يهتم بالنية ويجعلها محورًا تدور حوله أعمال العبد كلها؛ لأنه كما قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)... وهذه النية لكى تكون صادقة، لا بد من أن تؤسس وتقوم على عقيدة صحيحة.

لذلك، جاء هذا الفصل– الرابع– ليتناول الأعمال التى تسمو بصاحبها روحيًّا تحت عنوان: "السمو الروحى بإخلاص الأعمال كلها لله"، وذلك فى ثلاثة محاور، هى:

- الإخلاص فى العقائد.
- الإخلاص فى العبادات.
- الإخلاص فى المعاملات.

أولاً: الإخلاص فى العقائد:

بعد الأخذ بأيدى المتربين إلى التعرف على الله بأسمائه وصفاته، وإلى التعرف على أسباب محبته سبحانه، للأخذ بها،

يوجهون إلى حيث ترسيخ الإيمان وإخلاص العقيدة، لتحقيق السمو الروحى الخالص.

والعقيدة الصحيحة هى الإيمان الصادق الصحيح، وهى ليست مجرد عمل قلبى، ونية مقرها القلب، وكفى، وإن كان هذا هو الشرط الأساسى والأول من شروط صحتها، ولكنها تقتضى التصديق العملى للنية بالعمل، فهى ما وقر فى القلب وصدقه العمل، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

والإخلاص هو أن يقصد العبد بعمله وجه الله وحده لا شريك له، سواء كان العمل ظاهرًا يمكن رؤيته، أو خفيًّا فى الخفاء عن الأنظار، أو باطنًا فى ضمير وفى نية صاحبه، وسواء كان هذا العمل عقيدة، أو عبادة، أو معاملة.

والنفاق ضد الإخلاص... فإذا كان الإخلاص هو أن يقصد العبد بعمله وجه الله تعالى، فإن النفاق على النقيض من ذلك، حيث يكون المقصود بالعمل غير الله... والنفاق أقسام ثلاثة: نفاق فى العقيدة: حيث يضمر صاحبه الكفر فى قلبه، ويظهر الإسلام على لسانه، ونفاق العبادة: حيث يدخل فيها على حرف غير متمكن ولا متثبت، ونفاق المعاملة، حيث لا يعامل الناس بما يتفق وقواعد الأخلاق الإسلامية. ومن ثم لا يكون هناك إخلاص، وعنده تختل الموازين، وتنهار القواعد ويهتز المجتمع[٥١].

والإخلاص هو الروح السارية فى كل الأعمال، الظاهر منها والخفى: عقيدة أو عبادة أو معاملة، وبغير الإخلاص تصبح أعمال المسلم جسدًا لا روح فيه، وقد أكد رسول الله ﷺ الإخلاص فى العمل، ظاهرًا كان أم باطنًا، فقال فيما رواه عنه عمر بن الخطاب ﷺ، حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...)[٥٢].

كما أن الإخلاص هو الأساس فى قبول الأعمال... اسمع إلى حديث رسول الله ﷺ، فيما رواه أبو هريرة ﷺ، حيث قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[٥٣]. وعن أبى أمامة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (... إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وابتغى به وجهه)[٥٤].

لذلك أمر الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين بالإخلاص، فقال لهم على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(الأنعام:٧٩). وقال لهم سبحانه فى شخص رسوله الكريم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَّ وَلا أُشْرِكَ بِهِ﴾(الرعد:٣٦). وقال: ﴿لَّكِنَّا هُوَ اللهُّ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾(الكهف:٣٨)، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾(الجن:٢٠). وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الزمر:٦٥)... وأمر الحق تبارك وتعالى بالإخلاص فى الدين كله، فقال: ﴿فَاعْبُدِ اللهَّ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾(الزمر:٢).

وامتدح الله المخلصين له فى دينهم ووعدهم بعظيم الأجر فقال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللهّ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ للهّ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُّ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(النساء:١٤٦).

وإذا كان الإيمان، كما روى عمر بن الخطاب ﷺ، عن رسول الله ﷺ هو: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[٥٥]. إلا أن الإيمان بالله والتصديق بوجوده ووحدانيته والإخلاص له فى الدين وحده لا شريك له، يمثل الركن الأول والأساسى فى العقيدة الإسلامية و"هو أول وأهم شىء فى نظام الإسلام للعقائد والأعمال، بحيث إن كل ما فيه من العقائد الأخرى إنما هى فروع لهذا الأساس، وأن كل ما فيه من الأحكام الخلقية والقوانين المدنية لا تستمد قوتها إلا من هذا المركز، إذ ليس فى الإسلام شىء إلا وذات الله مصدره ومرجعه... فما الإيمان بالملائكة إلا لأنهم ملائكة الله، وما الإيمان بالكتب السماوية إلا لأنها منزلة من عنده سبحانه، وما الإيمان بالرسل إلا لأنهم رسله الذين أرسلهم لهداية البشر، وما الإيمان باليوم الآخر إلا لأنه يوم عدله وقضائه بين خلائقه،

وما القدر إلا قدر الله وإرادته، وما اتباع الأوامر ولا اجتناب النواهى إلا لأنها من عند الله"[٥٦].

وهنا، على الآباء والمربين، الأخذ بأيدى الأبناء والمتربين إلى حيث العقيدة الصحيحة الخالصة... فيعرفون أركان العقيدة ويعرفون شعب الإيمان، ويوجهون إلى حيث الإخلاص فى عقيدتهم؛ ليقوى إيمانهم ويقوى اتصالهم بالله ويسمون روحيًّا.

ثانيًا: الإخلاص فى العبادات:

من نعم الله على عباده أن فرض عليهم عبادات (ذات شعارات تعبدية) يتعبدونه بها وحده، ويتقربون بها إليه، وبثمارها يتحقق لهم السمو الروحى والترفع عن قيود المادية واستعبادها.

وقد احتفى الإسلام حفاوة بالغة بتلك الشعائر التعبدية لحكمة ظاهرة، فهى التى تربط القلب رباطًا دائمًا ومتجددًا بالله، وهى محطات التزود التى يتزود فيها المسلم بالزاد الروحى الذى يعينه على بقية الطريق... فالصلاة زاد يومى يتكرر خمس مرات فى اليوم والليلة. والصيام زاد سنوى مركز مجمع يستغرق شهرًا كاملًا يتقلب فيه الإنسان من عبادة إلى عبادة، والزكاة موسم أو مواسم سنوية يتطهر فيها الإنسان من الشح، ويمارس العطاء الروحى والمادى. والحج موسم فى العمر يتجرد فيه الإنسان من متاع الأرض الزائل كله، ويقبل على الله[٥٧]...

وهكذا بقية العبادات كلها محطات تزود، يتزود فيها المسلم بالزاد الروحى، لبقية الطريق... والعبادة تشمل كل الطريق... فالدعاء عبادة، والذكر عبادة، والشكر عبادة، والتوكل عبادة، وقراءة القرآن عبادة، كلها محطات تزود بالشحنات الروحية، شريطة أن تكون هذه العبادات خالصة لله تعالى وحده.

والإخلاص لله هو أن يأتى الإنسان بأعماله نقية، لا يشوبها رياء. قيامًا بالواجب، سواء فى العبادات (أى الشعائر التعبدية) أو فى سائر الأعمال، قاصدًا بذلك وجه الله ورضاه، فإخلاص العمل لله هو الذى يسمو بهذا العمل ويسمو بصاحبه روحيًّا ويوثق صلته بخالقه سبحانه.

والإخلاص من الصفات الروحية التى تسمو بالإنسان إلى منزلة رفيعة من الخلق الإنسانى، فأهواء النفس، والرياء، والغايات الشخصية التى تقوم على الأثرة والأنانية، يحاربها الإسلام ليحل محلها الإخلاص لله... ولهذا أولاه الإسلام اهتمامًا خاصًا وقرنه بالعبادة. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(البينة:٥). وقال سبحانه: ﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾(الزمر:٢).

ولما كانت الأعمال الخالصة لله وحده- عبادات وغير العبادات- لا بد لها من سابق نية وعزم، نجد الإسلام يهتم بالنية هذه ويجعلها محورًا

تدور حوله أعمال العبد كلها، فعن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[٥٨].

والعبادة الخالصة لله تعالى وحده، هى أقصى غاية الخضوع والتذلل له مع طاعته، وهذا يقتضى عدم الخضوع لأى كائن على وجه الأرض لأنهم كلهم مربوبون لله، وهذا ما صرح به القرآن الكريم: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾(يوسف:٤٠)، ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَىء فَاعْبُدُوهُ﴾(الأنعام:١٠٢)... بل أمر الله عباده المؤمنين بإخلاص العبادة له وحده سبحانه، للأسوة المسداه والرحمة المهداة: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾(الزمر:٢)، وقال: ﴿قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾(الزمر:١١)، وقال: ﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾(الزمر:١٤)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء﴾(البينة:٥).

والإسلام إذا أمر بعبادة الله فإنما يرمى من ذلك إلى تحرير الإنسان من العبودية التى لازمته السنين الطوال، من ملوك الأرض وزعمائها الطاغين ورؤساء الدين المتألهين، وأن ينزع من ذهنه ذلك الوهم بأنهم من طينه أفضل من طينته، وأنهم من عنصر أفضل، وأن بيدهم النفع

والضر، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِّ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا﴾(المائدة:٧٦). ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهَّ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللهَّ الرِّزْقَ﴾(العنكبوت:١٧).

ولهذا أرسل الله الرسل- فى كافة العصور- للناس، ليدعوهم إلى عبادة الله وحده وعدم خضوعهم لسواه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللهَّ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾(النحل:٣٦). والطاغوت هو كل معبود دون الله(٥٩).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه إذا كانت الشعائر التعبدية، من صلاة وزكاة وصيام وحج ذات صبغة روحية غالبة، فليس معنى ذلك أنها هى وحدها العبادة، ولا أنها للآخرة منقطعة عن الدنيا، فلكل منها مقتضى لا بد أن تحققه فى الحياة الدنيا، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والزكاة تطهر النفس والمال، وتحقق التكافل والترابط الاجتماعى، والصيام يدرب على التقوى وقوة الإرادة والتحكم فى الشهوات، والحج يدعو إلى البر وإلى التعارف والتفاهم... وهكذا تصبح العبادة كلها للدنيا والآخرة فى آن واحد(٦٠).

وفيما يلى يمكن تناول بعض العبادات وشعائرها التعبدية، تلك العبادات التى تسمو بالمسلم روحيًّا وتزوده بشحنات روحية، وذلك كما يلى:

[١] الصلاة والسمو الروحى:

الصلاة فى اللغة: الدعاء بخير، وهى دعاء يتقرب بـه العبـد إلى الله قيامًا بفرض عبـادة، أو اسـتغفارًا لـذنب، أو شـكرًا لنعمـة، أو دفعًـا لضيم، والصلاة فى مفهوم الشرع: أقوال وأفعال معلومة، ما بين قراءة للقرآن وقيام وركوع وسجود وقعود وغير ذلك ممـا يؤديـه المـسلم فى أوقات معلومة، مفتتحة بتكبيرة الإحرام ومختتمة بالتسليم(٦١).

والصلاة هى صلة بين العبد وربه، وهى أولى محطات التـزود التـى تمد الإنسان وتمد الجماعة الإنسانية بالقوى الروحيـة التـى لا بـد منهـا لإصلاح حياتهم وحيـاة المجتمـع؛ لـذلك أعـلى الإسـلام مـن شـأنها فجعلها الركن الأول من أركانه بعد الشهادتين، وأعلى من شـأنها بـأن جاءت فرضيتها فى السماء وليست كبقيـة الفـرائض فى الأرض... كـما جاء الأمر بإقامتهـا والمحافظـة عليهـا فى مواضـع كثـيرة مـن القـرآن الكريم.

فقد ورد ذكر الصلاة مقرونًا بإقامتها فى خمسين موضـعًا فى القـرآن الكريم... منها أمره سبحانه وتعالى بإقامتها- فى كثـير منهـا- كقولـه: ﴿فَـأَقِيمُواْ الـصَّلاَةَ إِنَّ الـصَّلاَةَ كَانَـتْ عَـلَى الْمُـؤْمِنِينَ كِتَابًـا مَّوْقُوتًا﴾(النساء:١٠٣)، وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾(البقرة:٤٣، ٨٣، ١١٠)، وقوله: ﴿إِنَّنِى أَنَا اللهُ لا إِلَـهَ إِلَا أَنَـا فَاعْبُـدْنِى وَأَقِـمِ الـصَّلاَةَ

لِذِكْرِي﴾(طه:١٤)... ومنها ما جاء عمن يقيمونها، كقوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَـئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(النساء:١٦٢)، وقوله: ﴿وَالْمُقِيمِى الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(الحج:٣٥)... ومنها، موضعين، جاء الأمر فيها بإقامة الصلاة ضمنًا، وهما قوله: ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾(البقرة:١٢٥)، وقوله: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ للهِّ قَانِتِينَ﴾(البقرة:٢٣٨).

وقد مدح الحق تبارك وتعالى المؤمنين فى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(المؤمنون:١-٢). والخشوع لا يكون إلا إذا كانت الصلاة خالصة لله: لذلك أمر سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾(طه:١٤)، ويقول سبحانه فى وصف أصحاب النار عندما يسألون عن سبب عذابهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾(المدثر:٤٢-٤٣).

فالصلاة هى أكد فروض الإسلام، بل هى عظمى العبادات بعد الشهادتين، فقد أخرج البخارى ومسلم، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)[٦٢]، وفى الحديث الذى رواه عمر ﷺ. عن رسول الله ﷺ قال: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا

رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا)[٦٣]... وأكد ﷺ أن تارك الصلاة كافر، فعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)[٦٤].

والصلاة عماد الدين، وبصلاحها يصلح سائر العمل، روى أبو هريرة، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر...)[٦٥]. وعن أنس مرفوعًا: (أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله)[٦٦].

شروط صحة الصلاة:

شروط صحة الصلاة هى ما يتوقف عليه صحتها، وبدونها لا تصح، وهى:

١) **الوقت**: أى أن تؤدى الصلاة لوقتها، وهى أفضل ما تكون فى وقتها ولا تصح قبله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾(النساء:١٠٣). وقد وقت رسول الله ﷺ للصلاة، فروى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه ﷺ وقت الفجر: من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس، ووقت الظهر: من زوال الشمس عن كبد السماء- وفى رواية

إلى بطن السماء- إلى أن يصير ظل الشيء كطوله، ووقت العصر: من طول ظل الشيء مثله إلى غروب الشمس، ووقت المغرب: من غروب الشمس إلى مغرب الشفق الأحمر، ووقت العشاء: من غروب الشفق الحمر إلى منتصف الليل[٦٧].

وحاليًّا ومع اختراع الساعة كآلة دقيقة لتحديد الوقت، تم تحديد أوقات الصلوات بكل دقة، دون اللجوء إلى قياس ظل الشيء أو رصد الشروق أو الغروب أو غير ذلك.

٢) **ستر العورة**: فلا تصح صلاة مكشوف العورة، لقوله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾(الأعراف:٣١). ومعروف أن الزينة من الثياب ما يستر العورة، ولقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو هريرة: (لا يصلى أحدكم فى الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء)[٦٨]. والثوب الواحد هو الإزار أو الرداء، ومعلوم أن عورة الرجل ما بين الصرة والركبتين، وعورة المرأة جميع بدنها إلا الوجه والكفين.

٣) **الطهارة**: يشترط لصحة الصلاة الطهارة من الحدث الأكبر، والطهارة من الحدث الأصغر، وطهارة البدن والثوب ومكان الصلاة من النجاسة والأقذار... أما الطهارة من الحدث الأكبر، فبالغسل. لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىَ

تَغْتَسِلُواْ...﴾(النساء:٤٣). وعن كيفية الغسل، فذلك غسل رسول الله ﷺ، فعن عائشة وميمونة أزواج النبى ﷺ: أنه كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، وغسل فرجه وما أصابه من الأذى أى الجنابة، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة غير رجليه، ثم يغسل رأسه بالماء ثلاثًا بأن يصب على رأسه ثلاث غرف بيديه، ثم يغسل بقية بدنه(٦٩). وموجبات الغسل: هى إنزال المنى يقظة أو منامًا، والجماع، وخروج دم الحيض أو النفاس.

أما الطهارة من الحدث الأصغر، فبالوضوء. وهو على وجهين: الوجه الأول: صفة واجبة لا يصح الوضوء إلا بها، وهى المذكورة فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ...﴾(المائدة:٦). فيغسل الوجه مرة، ومنه المضمضة والاستنشاق، وغسل اليدين إلى المرفقين من أطراف الأصابع إلى المرافق مرة واحدة، ومسح الرأس مرة واحدة، ومنه الأذنان، وغسل الرجلين إلى الكعبين مرة واحدة.

أما الصفة المستحبة للوضوء: فهى أن يسمى الإنسان عند وضوئه، ويتوضأ بوضوء النبى ﷺ، كما نقله عنه عثمان بن عفان، حيث دعا ﷺ بوضوء، فتوضأ فغسل كفيه ثلاث مرات، ثم تمضمض واستنشق ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات، ثم غسل

يده اليسرى مثل ذلك، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات، ثم غسل اليسرى مثل ذلك. ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئى هذا[٧٠].

ونواقص الوضوء هى مفسداته ومبطلاته، وهى: البول، والغائط، والريح، والنوم، وأكل لحم الإبل... وإذا انتقض الوضوء، فلا تقبل صلاة إلا بوضوء جديد، لقوله ﷺ، فيما رواه عنه أبو هريرة ﷺ، أنه ﷺ قال: (لا تقبل صلاة أحدكم، إذا أحدث، حتى يتوضأ)[٧١].

هذا بالإضافة إلى الطهارة من النجاسة التى يمكن أن تلحق ببدن المصلى أو بثوبه أو بمكان صلاته، لقوله ﷺ: (لا يقبل الله صلاة بغير طهور)[٧٢].

٤) **استقبال القبلة**: فيستقبل المصلى الكعبة الشريفة، وموقعها وسط المسجد الحرام، لقول الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾(البقرة:١٤٤).

أركان الصلاة:

أركان الصلاة هى أجزاؤها ومكوناتها، وبمجملها تتم الصلاة. ولو أن المصلى ترك منها ركنًا متعمدًا بطلت صلاته... وهذه الأركان هى:

١- **القيام مع القدرة**: وهذا ركن فى الفرض خاصة، لقوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾(النساء:١٠٣)، وقوله: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ للّهِ قَانِتِينَ﴾(البقرة:٢٣٨). ولقول النبى ﷺ لعمران بن حصين: (صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب)[٧٣]. وقد صلى رسول الله ﷺ قاعدًا فى مرضه الذى مات فيه[٧٤].

٢- **النية**: والنية ركن من أركان الصلاة، لقول الرسول الكريم ﷺ، فيما رواه عمر بن الخطاب ﷺ، أنه ﷺ قال: (إنما الإعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...)[٧٥]. والنية محلها القلب. واشتراط النية فى الصلاة من أجل التعيين، كأن ينوى الفجر فجرًا، والظهر ظهرًا، والعصر عصرًا، والمغرب مغربًا، والعشاء عشاءً.

٣- **تكبيرة الإحرام**: لفعل رسول الله ﷺ، ولقول عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير[٧٦]. ولقول النبى ﷺ للمسىء صلاته: (إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة، فكبر...)[٧٧]. والتكبير أن يقول: (الله أكبر) رافعًا يديه حذو منكبيه.

٤- **قراءة الفاتحة**: وذلك فى كل ركعة، لقول النبى ﷺ: (لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب)[٧٨]. هذا إذا كان وحده[٧٩]. أما إذا كان

خلف الإمام، فعن جابر بن عبد الله قال: من صلى ركعة لم يقرأ فيها بأم القرآن فلم يصل إلا أن يكون وراء الإمام[٨٠].

٥- **الركوع**: لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾(الحج:٧٧)، ولقول النبى ﷺ للمسىء صلاته: (ثم اركع حتى تطمئن راكعًا)[٨٢]. وعند الركوع يقول: (الله أكبر)، ثم يقول فى ركوعه: (سبحان ربى العظيم) ثلاث مرات[٨٢].

٦- **الرفع من الركوع**: فيرفع من الركوع حتى يستوى قائمًا، لقول عائشة رضى الله عنها عن صلاة الرسول ﷺ: وكان إذا رفع رأسه من الركوع لم يسجد حتى يستوى قائمًا[٨٣]، ولقول النبى ﷺ للمسىء صلاته: (ثم ارفع حتى تطمئن قائمًا)[٨٤]. ويقول المصلى أثناء الرفع من الركوع: (سمع الله لمن حمده. ربنا ولك الحمد)[٨٥]. وإذا كان مأمومًا، يقول الإمام: (سمع الله لمن حمده)، ويقول المأموم: (ربنا ولك الحمد)[٨٦].

٧- **السجود**: لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾(الحج:٧٧). فيخر المصلى ساجدًا ويقول: (الله أكبر). ويسجد كما قال ﷺ على سبعة أعظم، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: (أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة، وأشار بيده على أنفه، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين)[٨٧].

ويقول فى سجوده: (سبحان ربى الأعلى) ثلاث مرات[٨٨]، أو يقول سبحان ربى الأعلى وبحمده، ثلاثًا.

٨- **الجلوس بين السجدتين**: فيجلس المصلى بعد سجدته الأولى ويطمئن فى جلوسه، لقول عائشة عن صلاة النبى ﷺ: وكان إذا رفع رأسه من السجدة لم يسجد حتى يستوى جالسًا[٨٩]، ولحديثه ﷺ: (لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه من الركوع والسجود)[٩٠]. ولقوله ﷺ للمسىء صلاته: (ثم ارفع) أى من السجود (حتى تطمئن جالسًا)[٩١]. ويقول المصلى أثنا الرفع (الله أكبر)، ثم يقول فى جلوسه: (رب اغفر لى رب اغفر لى) أو يقول: (رب اغفر لى ولوالدى) أو يقول: (رب اغفر لى وارحمنى وأجبرنى وأهدنى وارزقنى)[٩٢].

٩- **السجود الثانى**: فلكل ركعة سجدتان. لقول النبى ﷺ للمسىء صلاته: (ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا) للمرة الثانية فى الركعة، ويخر ساجدًا من جلوسه قائلًا: (الله أكبر)، ثم يقول فى سجوده الثانى مثل قوله فى سجوده الأول.

١٠- **التشهد الأخير**: لقول ابن مسعود ﷺ: كنا نقوم قبل أن يفرض علينا التشهد، فدل هذا على أن التشهد فرض، كما يدل على فرضيته قول رسول الله ﷺ: (... فإذا قعد أحدكم فى الصلاة) أى للتشهد (فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات...)[٩٣]. وعند الرفع من السجود يقول: المصلى (الله أكبر)، ثم يجلس لقراءة التشهد.

وصفة التشهد، كما رواه ابن عباس، حيث قال: كان رسول الله ﷺ، يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن. فكان يقول: (التحيات لله والصلوات والطيبات. السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله)[٩٤].

١١- **الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد الأخير**: فروى عن بشير بن سعد أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: أمرنا الله تعالى أن نصلى عليك يا رسول الله، فكيف نصلى عليك؟ قال رسول الله ﷺ: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم. وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم. فى العالمين إنك حميد مجيد)[٩٥].

١٢- **الطمأنينة فى الأركان**: فيطمئن المصلى فى ركوعه وقيامه وسجوده وجلوسه، لقول النبى ﷺ للمسىء صلاته فيما رواه أبو هريرة: (ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها)[٩٦]. والطمأنينة أن يسكن الإنسان فى الركن (حتى يعود كل فقار إلى مكانه)[٩٧].

١٣- **الترتيب بين الأركان**: القيام ثم الركوع ثم السجود... فلو بدأ المصلى بالفاتحة قبل تكبيرة الإحرام، أو جاء بالسجود قبل الركوع

لم تصح صلاته لأنه أخل بالترتيب، والترتيب واضح فى صلاته ﷺ، وواضح فى أمره للمسىء صلاته، وحفظت هيئة الصلاة بترتيبها عن الرسول ﷺ، وعلمها الصحابة، وقال: (صلوا كما رأيتمونى أصلى) فلا يجوز تقديم متأخر فيها، ولا تأخير متقدم، وإلا بطلت الصلاة.

١٤- **التسليم**: والتسليم هو الركن الأخير الذى تختتم به الصلاة. لحديث عائشة عن صلاة النبى ﷺ الذى قالت فيه: (وكان يختم الصلاة بالتسليم)[٩٨]. وعن على كرم الله وجهه، عن النبى ﷺ قال: (مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم)[٩٩]. والتسليم يكون يمينًا ثم يسارًا. لما روى عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: كنت أرى رسول الله ﷺ يسلم عن يمينه وعن يساره حتى أرى بياض خده[١٠٠]. وفى التسليم يقول المصلى فى منتهى صلاته ملتفتًا جهة اليمين: (السلام عليكم ورحمة الله)، ثم يلتفت جهة اليسار ويقول: (السلام عليكم ورحمة الله)[١٠١].

الفوائد التربوية للصلاة:

للصلاة العديد من الفوائد التربوية، التى تغطى كافة جوانب شخصية المتربى، بل وتتعداها إلى تنمية شخصية المجتمع... تلك الفوائد التى يمكن الإشارة إلى بعضها على النحو التالى:

١) **تربية روحية**: بتكفير الذنوب، فعن عثمان بن عفان قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله)[١٠٢]. وفى رواية أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: (الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر)[١٠٣]. وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا)[١٠٤]. وعن سلمان الفارسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن المسلم يصلى وخطاياه مرفوعة على رأسه، كلما سجد تحاتت عنه، فيخرج من صلاته، وقد تحاتت خطاياه)[١٠٥].

٢) **تربية روحية**: بالتقرب إلى الله، فعن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: (أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد، فأكثروا الدعاء)[١٠٦]. وهو معنى قوله عز وجل: ﴿... وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾(العلق:١٩).

٣) **تربية روحية**: بالوعد بنيل شفاعة المصطفى ﷺ، روى أن ربيعة بن كعب الأسلمى، قال لرسول الله ﷺ: ادع الله يجعلنى من أهل شفاعتك وأن يرزقنى مرافقتك فى الجنة، فقال رسول الله ﷺ: (أعنى على نفسك بكثرة السجود)[١٠٧].

٤) **تربية روحية**: بالوعد بالجنة، فعن عقبة بن عامر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبلًا عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة)[١٠٨].

٥) **تربية روحية**: لتزويدها للمصلين بالشحنات الروحية. فالصلاة تمد الإنسان والجماعة الإنسانية بالقوى الروحية والتزود الروحى المتكرر فى اليوم خمس مرات. تلك الصلة الروحية وما يترتب عليها من قوى روحية لا بد منها لإصلاح الفرد والمجتمع.

٦) **تربية عقائدية**: بإخلاص العبادة لله وحده، فتلك سورة الفاتحة المتكررة فى كل ركعة، يقرأ فيها المصلى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(الفاتحة:٥)، أى نعبدك وحدك دون سواك، ونطلب معونتك وحدك على عبادتك وعلى جميع شئوننا بالعمل بما أعطيتنا من الأسباب والتسليم إليك عند العجز عنها.

٧) **تربية أخلاقية**: لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فالمصلى إذ يحس برهبة المثول بين يدى الحضرة الإلهية خمس مرات فى اليوم والليلة، لا بد أن يغرس الإيمان بالله فى تفكيره وفى نظرته إلى العالم المادى، فيصبح إيمانه قوة فعالة فى حياته، فترتدع نفسه عن الشهوات، وتعدل عما كانت عليه من الآثام والمنكرات، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ

وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(العنكبوت:٤٥). فالله يأمر بإقامة الصلاة والإتيان بها إتيانًا كاملًا يحقق المقصود منها، وهو التوجه إلى الله والخشوع الحقيقى له، مما يحول بين الإنسان واقتراب الفواحش والمنكرات[١٠٩].

٨) **تربية اجتماعية**: حيث توثيق عرى الجماعة من خلال الصلاة الجماعية. فعن ابن عمر رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة)[١١٠]. والصلاة الجماعية بالمسجد وسيلة للتقريب بين طبقات المجتمع... غنيها وفقيرها، رئيسها ومرءوسيها، ففى المسجد يجتمع المسلمون للصلاة جنبًا إلى جنب، يقفون موقفًا واحدًا، ويخرون جميعًا ساجدين لله رب العالمين. فليس لرأس على رأس ارتفاع، ولا لوجه على وجه تمييز[١١١].

٩) **تربية نفسية**: لما فيها من ذكر لله واتصال به سبحانه، ولما لذلك من أثر فى تحقيق الطمأنينة والراحة النفسية: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(الرعد:٢٨).

١٠) **تربية إرادية**: لما لها من أثر فى قوة الإرادة، فتحقق الصلاة قوة فى إرادة صاحبها، باستناده إلى ركن متين، وهو القوى المتين سبحانه، فلا يهلع ولا يجزع ولا تنكسر إرادته. قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾(المعارج:١٩-٢٣).

١١) **تربية عقلية**: بتنميتها ملكة حصر الذهن وتركيزه، فالصلاة فى الإسلام تنمى ملكة حصر الذهن لدى صاحبها، فالمصلى الذى يستطيع ويحاول بكل قدرته أن يحصر فكره طيلة الوقت الذى تستغرقه الصلاة، وهو ما يسمى بالخشوع، لا شك بأنه تنمو فيه ملكة حصر الذهن، وتصبح له معينًا فى سائر الأعمال التى يزاولها[١١٢].

١٢) **تربية صحية وبدنية**: لما تقوم عليه من نظافة وطهارة للبدن، وللثياب، وللمكان الذى تؤدى فيه الصلاة، ولما تتضمنه من حركات ورياضات بدنية. إضافة إلى تأثر الصحة العامة بالصحة النفسية.

١٣) **تربية جمالية**: لما تقوم عليه من نظافة وطهارة، للبدن وللبيئة، ولما تقوم عليه من نظام ودقة وانضباط، فى الوقت والتوقيت، وفى الأداء لأركانها وبشروطها... ناهيك عما يتسم به المصلون من جمال روحى وسماحة ورقى فى التعامل.

١٤) **تربية سياسية**: لتربيتها الجماعة على طاعة الإمام القائد، ومراعاة الإمام ظروف الجماعة من خلفه، ولتدريب الجماعة أو أهل الذكر منهم على رد الإمام إلى الصواب إذا أخطأ، وتدريب الإمام على الأخذ بتصويب الجماعة لأدائه.

١٥) **تربية شاملة لكل جوانب شخصية الفرد، وشخصية المجتمع**: لأنها تربى على القرب من الله والامتثال لأمره، وتنهى عن

الفحشاء والمنكر... ولكل هذا انعكاساته على الفرد والمجتمع، فتربى بالإضافة لما سبق، على السماحة وحسن التعامل، فى البيع والشراء، فى القضاء والاقتضاء، محكومين بأخلاقيات تضبط علاقاتهم الجنسية ومعاملاتهم الاقتصادية والنواحى الأمنية... إلى غير ذلك من جوانب شخصية الفرد أو المجتمع.

وهكذا، فحرى بالآباء والمربين أن يعلموا الأولاد الصلاة بأركانها وشروطها وأن يحرصوا على إفادتهم من فوائدها وثمارها التربوية، مصطبرين عليها... امتثالًا فى ذلك لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾(طه:١٣٢). والأمر هنا للأهل بالصلاة بما فيهم الأولاد الصغار ومتابعتهم فى ذلك، لأن رسول الله ﷺ، فيما رواه عنه عمرو بن شعيب- وغيره- عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع)[١١٣]. ولأن الأمر للأبناء بالصلاة كما جاء بوصايا لقمان لابنه، حيث قال سبحانه: ﴿يَا بُنَى أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾(لقمان:١٧).

وجدير بكل أب وأم تعليم أبنائهم الوضوء، وتعليمهم الصلاة وأركانها وحثهم عليها ومتابعتهم فيها، وجدير بكل أب أن يعرف ابنه على بيوت الله ويصطحبه إليها إن كان الولد لا يفسد فيها، وقد كان

الأطفال والغلمان متواجدين فى المساجد على عهد رسول الله ﷺ... فعن أبى قتادة عن النبى ﷺ أنه قال: (إنى لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبى، فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه)[١١٤]. فدل ذلك على وجود الطفل بالمسجد، وقوله: أتجوز فى صلاتى، أى أخفف فيها.

كما يدل على اصطحاب الأطفال إلى المسجد، هو اصطحاب رسول الله ﷺ الحسن والحسين إلى مسجده... فروى عبد الله بن شداد عن أبيه، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فى إحدى صلاتى العشاء وهو حامل حسنًا- أو حسينًا- فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه، ثم كبر للصلاة فصلى، فسجد بين ظهرانى صلاته سجدة أطالها قال أبى: فرفعت رأسى فإذا الصبى على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودى، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهرانى صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك. قال: كل ذلك لم يكن، ولكن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته[١١٥]. وظهرانى صلاته أى وسطها وفى أثنائها، ويقضى حاجته أى من اللعب.

كما روى أبو قتادة الأنصارى أن رسول الله ﷺ كان يصلى وهو حامل حفيدته أمامة بنت ابنته زينب لأبى العاص بن ربيعة بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها[١١٦].

[٢] الزكاة والسمو الروحى:

الزكاة فى اللغة معناها: الطهارة. وسمى الله الصدقة المفروضة زكاة، لأنها تطهر النفس وتسمو بها. قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(التوبة:١٠٣). وما ذكره الله تعالى من تطهير الزكاة للمؤمنين يشمل أفرادهم وجماعاتهم، يشمل معطيها وآخذها، فهى تطهر نفوس الأفراد من أرجاس البخل والدناءة والقسوة والأثرة والطمع ومن أكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك... كما تطهر الجماعة من الرذائل الاجتماعية التى تمثل مثار التحاسد والتباغض والتعادى والعدوان والفتن والحروب(١١٧).

وأمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بدفع الزكاة فى مواضع كثيرة من كتابه العزيز ولم ترد-تقريبًا- فى القرآن الكريم آية تدعو إلى إقامة الصلاة إلا مقرونة بالدعوة إلى إيتاء الزكاة، فالزكاة والصلاة دعامتان متينتان من الدعامات التى بنى الإسلام عليها... من ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾(الحج:٧٨). كما أن المسلم لا تحصل أخوته الدينية للمسلمين إلا بأدائها، حيث قال عز وجل: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ﴾(التوبة:١١).

كما أكد الحق تبارك وتعالى عظم ذنب منع الزكاة، حيث قال سبحانه: ﴿...وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ

هُمْ كَافِرُونَ﴾(فصلت:٦-٧). وقال عز وجل: ﴿...وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِّ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ...﴾(التوبة:٣٤-٣٥).

وقد بين الإسلام الأنواع التى تجب الزكاة فيها شرعًا، والشروط التى يجب أن تتوفر فى كل نوع من هذه الأنواع... ولم يترك الإسلام أمر الزكاة ومستحقيها إلى تقدير مخرجها أو إلى تقدير ولى الأمر، بل بين المصارف وعينها فى ثمانية أصناف، بالنص القرآنى، الذى لا يقبل التأويل، فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِّ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِّ وَاللهُّ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(التوبة:٦٠).

وتسمو الزكاة بصاحبها روحيًّا، لكونها عبادة، وتقوى صلة الإنسان بربه، كما تسمو بعلاقة صاحبها مع الآخرين وعلاقة الآخرين فى المجتمع عمومًا، لكونها نظامًا اجتماعيًّا يحقق لمستحقيها الضمان الاجتماعى للطبقات المحرومة، والتكافل الاجتماعى بين مختلف طبقات المجتمع، فتسمو بذلك علاقاتهم وصلاتهم الروحية فيما بينهم.

لذلك، للاستفادة والإفادة من الفوائد التربوية للزكاة، على الآباء أن يخرجوا زكاة أموالهم، وأن يعرفوا أبناءهم بذلك، بل ويمكنهم

الاستعانة بهم فى توصيل الزكاة إلى مستحقيها، تأكيدًا لهم على فرضيتها، وتعريفًا لهم بأنواعها، وأنصبتها وبشروطها، ومصارفها، وتشجيعًا وتحبيبًا لهم فى فعل الخير، وتهيئة لهم على إخراج زكاة أموالهم مستقبلًا.

ويستحب- هنا- أن يعود الطفل على الصدقة عمومًا، وأن نكلفه بحمل الصدقة وتقديمها للمسكين، كما يستحب أن نعلمه الادخار من مصروفه الخاص، وأن يضع منه فى حافظته الخاصة- حصالته- ثم يخرج من حصيلتها شيئًا للمساكين.

[٣] الصيام والسمو الروحى:

الصيام لغة: الإمساك والكف عن الشىء، ويقال للصمت صوم، لأنه إمساك عن الكلام، والصيام شرعًا: الإمساك عن الأكل والشرب والاتصال الجنسى، مع اقتران النية به، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ابتغاء مرضاة الله[١١٨]. والأصل فى فرضيته قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ...﴾ إلى قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ...﴾(البقرة:١٨٣-١٨٥). وقول رسوله الكريمﷺ: (بنى الإسلام على خمس...)، إحداها: (صوم رمضان)[١١٩].

وللصيام أجر عظيم، لا يعرف قدره إلا الله، ففيما أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لى وأنا أجزى به، والحسنة بعشر أمثالها)[١٢٠]. وفى رواية: (... كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فهو لى وأنا أجزى به)[١٢١]. وإنما خص الصوم بأنه له، وإن كانت العبادات كلها له، لأمرين باين- ميز- الصوم بهما سائر العبادات. أحدهما: أن الصوم يمنع من ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات، والثانى: أن الصوم سر بين العبد وربه لا يظهر إلا له؛ فلذلك صار مختصًا به، وما سواه من العبادات ظاهر ربما فعله تصنعًا ورياءً. فلهذا صار أخص بالصوم من غيره"[١٢٢].

وقد أوضح الحق تبارك وتعالى الغاية من الصيام، بسمو الصائم روحيًا وبلوغ رضا الله، بقوله فى آيات الصيام بسورة البقرة:﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، أى تتخذون الصيام وقاية تحول بينكم وبين الميول المرذولة والمنكرات، كما أن التقوى تدفع صاحبها إلى فعل الخيرات، فالصوم يقى الشخص فى مفرده أن يكون حيوانًا يعمل بشريعة الغاب، ويقى المجتمع فى مجموعه بتهيئة الفرد الصالح والعامل على خيره فيكون إنسانًا مع إنسان، لا حيوانًا ضاريًا مع إنسان[١٢٣].

فروح الصيام فى الإسلام مراقبة الله فيه لكونه لوجهه، وهو الوسيلة الفعالة لتحقيق سلطان الروح على الجسد، فيعيش الإنسان

مالكًا زمام نفسه، لا أسير ميوله ونزعاته المادية، فيترجم السمو الروحى وسمو الاتصال بالله إلى سمو فى العلاقة للإنسان مع نفسه ومع غيره.

وعلى الآباء هنا تدريب أبنائهم على الصيام وتعويدهم عليه. وقد كان الصحابة كذلك يفعلون مع أبنائهم، فعن الربيع بنت معوذ رضى الله عنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار، التى حول المدينة: (من كان أصبح صائمًا فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه). وفى رواية: (فليتم صيامه إلى الليل). وقالت الربيع: وكنا بعد ذلك نصومه ونصوم صبياننا الصغار منهم، إن شاء الله، ونذهب إلى المسجد، فنجعل لهم اللعبة من العهن- أى الصوف- فإذا بكى أحدهم على الطعام، أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم[١٢٤]. وكان ذلك قبل فرض صيام شهر رمضان، وكان رسول الله ﷺ يصومه- أى عاشوراء- قبل أن ينزل شهر رمضان، فلما نزل شهر رمضان تركه[١٢٥]. وفى رواية، قال ﷺ عن هذا اليوم: (هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن أحب منكم أن يصوم فليصم، ومن أحب أن يفطر فليفطر)[١٢٦].

وعند البخارى معلقًا، عن عمر بن الخطاب ﷺ قال لنشوان- أى لسكران- فى رمضان: ويلك، وصبياننا صيام فضربه[١٢٧].

وهكذا... فعلى الآباء تدريب الأطفال على الصيام، وأمرهم به، وإن كان غير واجب عليهم، فيدرب الطفل على الصيام تدريجيًّا، كأن يصوم مرة إلى الظهر، ومرة إلى العصر، وهكذا... حتى يصوم اليوم كاملًا حتى المغرب، ليألف الصيام ويتدرب عليه.

وعلى الآباء تعليم أولادهم مبطلات الصيام، ما يوجب القضاء منها، وما يوجب القضاء والكفارة، حتى يكون الأولاد على وعى بها، لاتقائها، وللتعامل مع كل منها وفق تعاليم الشرع.

[٤] الحج والسمو الروحى:

الحج فى اللغة معناه: القصد، وقد تعورف استعماله فى القصد إلى مكة للنسك، والحج فى الشرع: أنه مقصد مكة فى وقت مخصوص، لأفعال مخصوصة، منها أركان وواجبات وسنن(١٢٨).

والأصل فى فرضية الحج، قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾(آل عمران:٩٧)، وقوله: ﴿وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾(الحج:٢٧)، وكذلك فى السنة، حيث يعد الحج ركنًا من أركان الإسلام، كما جاء بقوله ﷺ: (بنى الإسلام على خمس...) إحداها: (الحج)، وفى رواية: (حج البيت)(١٢٩)، أى حج البيت الحرام بمكة المكرمة، وأخرج مسلم عن أبى هريرةﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: (أيها الناس قد فرض الله

عليكم الحج فحجوا)[١٣٠]. كما حج رسول الله ﷺ فى حجته التى سميت بحجة الوداع[١٣١].

وللحج آثاره التربوية، الروحية وغير الروحية، فتأمل قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾. وقد فسر العلماء المنافع بأنها دينية ودنيوية معًا، والدين والدنيا فى نظر القرآن مترابطان ترابط الروح بالجسد فإذا كان الدين يمد الروح بالإيمان الصحيح والآداب، فإن أمور الدنيا تمده بأسباب البقاء ودواعى الارتقاء.

أما عن الأبناء وعبادة الحج... فإنه إذا كان بوسع الآباء اصطحابهم الأبناء إلى الحج والعمرة، فبها ونعمت، وهم بذلك يتيحون لهم فرصة للسمو الروحى والتزود بالشحنات الروحية، والآباء، مأجورون على ذلك، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن امرأة رفعت صبيًّا لها وقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: (نعم، ولك أجر)[١٣٢]... وإلا فعلى الآباء والمربين تزويد الأبناء والمتربين بكل ما يلزم من معارف عن الحج والعمرة، ومناسك كل منهما، وما يلزم لرسم صورة ذهنية وقلبية عن البيت الحرام والكعبة وعن الصفا والمروة، وعن منى وعرفه والمزدلفة وعن مشاعر الحج، وما يلازم تلك المناسك من تلبيات الملبين وأدعية الطائفين والساعين والمهرولين... ومعيشتهم لحياة الحجيج وتنقلاتهم وأدائهم للمناسك من خلال البث الإعلامى المباشر الذى يبث طيلة أيام الحج.

[٥] تعلم القرآن وتلاوته وتدبره والسمو الروحى:

تعلم القرآن وتلاوته وتدبره من أعظم القربات التى يتقرب بها العبد إلى ربه سبحانه وتعالى، وبتلاوته وتدبره يتزود العبد بشحنات إيمانية، وقد حث المولى سبحانه وتعالى على تلاوته وتدبره، فقال: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾(المزمل:٤). ويوجه اللوم لمن لا يتدبرون القرآن بقوله: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(محمد:٢٤). كما وجه سبحانه لتعلم القرآن وطلب الهداية بما فيه من توجيهات، فقال تعالى: ﴿...قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(المائدة:١٥-١٦).

كما حث رسول الله ﷺ على تعلم القرآن وتعليمه، فقال ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[١٣٣]. وقال مرغبًا فى تلاوته وموضحًا ما يناله العبد من حسنات على قراءته لكل حرف يتلوه من كتاب الله، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف) وفى رواية له قال: (اقرءوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه، أما إنى لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف عشر). أى عشر حسنات، (ولام عشر، وميم عشر، فتلك ثلاثون)[١٣٤].

وإذا كان لقارئ القرآن أجر على قراءته لكل حرف من حروفه، فإن لمن يعلمه لغيره أجر عظيم، لأن الدال على الخير كفاعله، ومن أعان على الخير فله من الأجر نصيب... ومن هنا فعلى الآباء تعليم أبنائهم القرآن، أو الاستعانة بمن يعلموهم القرآن... فتصفوا نفوسهم وتسموا أرواحهم وتجلى بصائرهم ويسعون فى طريق الصلاح والهداية وعمل الخير لدنياهم وأخراهم.

[٦] محبة رسول الله ﷺ والسمو الروحى:

مثلما أن تعلم القرآن وتعليمه وتلاوته وتدبره عبادة تقرب العبد من خالقه، لأنه كلام الله وكتابه المرسل، فإن محبة رسول الله ﷺ عبادة يتقرب بها العبد إلى خالقه، لأنه رسول الله والمبلغ لرسالته.

فانظر إلى الإيمان برسول الله ﷺ الذى هو سابق لمحبته وأساس لها، تجده قرين الإيمان بالله تعالى، وفى مقدمة أركان الإسلام، وقبل الصلاة والزكاة والحج والصيام، فعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)[١٣٥].

وفى الوقت نفسه فمحبة رسول الله من الإيمان، فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (فو الذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى

أكون أحب إليه من والده وولده)[١٣٦]، وفى رواية لأنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[١٣٧].

ومن محبته ﷺ طاعته والتمسك بسنته، فإنها خير الهدى، ولأنها ترجمة عملية لكتاب الله، (فإن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ)[١٣٨]. وهديه ﷺ هو الموصل إلى الجنة، فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى)[١٣٩]. ولأن طاعته من طاعة الله، فمن حديث جابر بن عبدالله أن: (من أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمدًا ﷺ فقد عصى الله...)[١٤٠].

ومن محبته ﷺ الدعاء له والصلاة عليه، امتثالًا لأمر الحق تبارك وتعالى، حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(الأحزاب:٥٦). والصلاة على النبى ﷺ قربة إلى الله تعالى، وسبب لنيل رحمته، لأن من صلى عليه مرة، صلى الله بها عليه عشرًا، وصلاته سبحانه رحمة... لما رواه أبو هريرة، أنه ﷺ قال: (من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرًا)[١٤١]. وفى رواية لعمير الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ: (من صلى على صلاة من أمتى مخلصًا من قلبه، صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر

درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات)[١٤٢].

وعلى الآباء والمربين الأخذ بأيدى الأبناء إلى محبة رسول الله ﷺ، والدعاء له، والصلاة عليه، وطاعته والتمسك بسنته؛ لأن ذلك عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه، ويسمو بها روحيًّا.

[٧] التوكل على الله والسمو الروحى:

التوكل على الله هو تفويض الأمر إليه سبحانه، مع الأخذ بالأسباب، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِّ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(آل عمران:١٥٩). فاشترط سبحانه العزيمة وإعداد العدة والأخذ بالأسباب قبل التوكل عليه سبحانه ليتحقق النجاح، ساعتها من يتوكل على الله فهو حسبه، لقوله تعالى: ﴿...وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهَّ فَهُوَ حَسْبُهُ...﴾(الطلاق:٣).

والتوكل على الله لازم من لوازم الإيمان وأثر من آثاره، قال تعالى: ﴿...وَعَلَى اللهِّ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(المائدة:٢٣). وقال سبحانه: ﴿اللهَّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَعَلَى اللهَّ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(التغابن:١٣).

وأمر سبحانه بالتوكل عليه فى كل الأمور، فى العبادة وفى غير العبادة، بل ما كان من غير العبادة وكانت النية فيه خالصة لله وحسب مرضاته سبحانه وتعالى، عد من العبادة، قال تعالى: ﴿...وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ...﴾(هود:١٢٣).

والتوكل على الله هو زاد روحى، وشحنة إيمانية تهب صاحبها الثقة بالنفس والقدرة على مواجهة المواقف والصعاب، والتغلب على الخوف والقلق، وهو الذى يعطى المؤمن بسمة أمام أحلك الساعات التى تمر به، ويهبه سكينة النفس التى حرم منها كثير من سكان هذه الأرض[١٤٣]، وهو الذى يقوى من إرادة صاحبه فيعينه على تحدى الفشل والتغلب عليه وصولًا إلى النجاح.

وعلى الآباء هنا تعليم أبنائهم كيف يخلصون أعمالهم- كل أعمالهم- لله، وكيف يتقنونها، وكيف يجدّون ويجتهدون فى الأخذ بالأسباب، ثم يتوكلون على الله.

[٨] الاستغفار والتوبة والسمو الروحى:

الاستغفار والتوبة عبادة تسمو بصاحبها روحيًّا، لأنهما ذكر لله وتوجه إليه وامتثال لأمره مع الخضوع والتذلل... لأمره سبحانه بالاستغفار حيث قال: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾(نوح:١٠)، ولأمره بالتوبة حيث قال: ﴿...تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا...﴾(التحريم:٨). أى توبة صادقة.

وقال عبدالله بن مسعودﷺ: فى كتاب الله عز وجل آيتان، ما أذنب عبد ذنبًا فقرأهما واستغفر الله عز وجل، إلا غفر الله تعالى له[١٤٤]. الأولى، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ

اللهُ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(آل عمران:١٣٥)، لأنه قال سبحانه فى الآية نفسها: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ﴾، وقال فى الآية التى تليها مباشرة: ﴿أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾(آل عمران:١٣٦). والثانية، قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(النساء:١١٠).

وذلك رسول الله ﷺ كان دائم الاستغفار والتوبة، فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة)[١٤٥]، وعنه أنه قال ﷺ: (إنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة)[١٤٦]، هذا مع أنه ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وإن الله ليفرح بتوبة عبده إليه... فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (...لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلًا وبه مهلكه، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش، أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكانى، فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده)[١٤٧]. وعن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره، قد أضله فى أرض فلاة)[١٤٨].

ومن هنا، فلنعود أنفسنا وأبناءنا، مداومة الاستغفار والتوبة، امتثالًا لأمر الله، واقتداءً برسوله ﷺ، الذى كان يستغفر الله ويتوب إليه مائة مرة، لتصفو نفوسنا وتسمو أرواحنا.

[٩] الدعاء والسمو الروحى:

الدعاء عبادة، تسمو بصاحبها روحيًّا كغيرها من العبادات، إذ هو الصلة الروحية التى تربط الإنسان بخالقه؛ لذلك اعتنى القرآن بالدعاء وحث عليه، ضمانًا لوجود تلك الصلة، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(غافر:٦٠). ففى هذه الآية وصف الله الدعاء بأنه عبادة، يستحق من يتعبدها الإجابة من الله، ويستحق من يستكبر عنها غضب الله، ويدخله جهنم ذليلًا مهانًا.

بل الدعاء هو مخ العبادة، لما رواه أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال: (الدعاء مخ العبادة)[١٤٩]. ومخ الشىء خالصه. وإنما كان الدعاء مخ العبادة لأمور: الأول: أنه امتثال لأمره تعالى: ﴿ادْعُونِي﴾ فهو مخها وخالصها، والثانى: أنه إذا رأى الداعى نجاح الأمور من الله تعالى قطع أمله عما عداه، وهذا أصل العبادة[١٥٠]. والثالث: إذا لم يرى الإجابة عاجلة، عاود الدعاء وألح فيه، وهذا أيضًا من أصل العبادة وخالصها، والرابع: مع يقينه بأن الله سيستجيب له، إن لم يكن عاجلًا

فآجلًا، أو أن يرفع عنه بدعائه بلاءً، أو يدخره له أجرًا وثوابًا، فكل هذا من خالص العبادة.

وشرع الدعاء فى الإسلام للسمو الروحى، والترفع عن شهوات الجسد الضارة، والعروج به فى معارج الكمالات، بجانب ما يطلبه الداعى من فضل الله وتيسير أموره وكشف الضر عنه، فيشعر بطمأنينة نفسية ونفحة روحية تنتشله مما هو فيه من الهم والضيق.

وللدعاء آداب، أوجزها الإمام الغزالى فى عشرة آداب، وهى كما يلى[١٥١]:

الأول: أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة؛ كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل.

الثانى: أن يغتنم الأحوال الشريفة؛ كالدعاء عند إقامة الصلوات المكتوبة، لما رواه أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة)[١٥٢]. وحالة السجود، لقوله ﷺ: (أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد، فأكثروا فيه من الدعاء)[١٥٣]. وهو معنى قوله تعالى: ﴿...وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾(العلق:١٩). وعند إفطار الصائم، قال ﷺ: (الصائم لا ترد دعوته)، وفى رواية: (ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر...)[١٥٤].

الثالث: أن يدعو مستقبلًا القبلة ويرفع يديه، فعن سلمان الفارسى ﷺ عن النبى ﷺ قال: (إن الله حيى كريم يستحى إذا رفع الرجل) أى العبد (إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين)[١٥٥]. وروى عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس[١٥٦]. وروى عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه فى الدعاء[١٥٧]. وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان يرمى الجمرة الدنيا بسبع حصيات، ثم يكبر على إثر كل حصاة، ثم يتقدم حتى يستهل، فيقوم مستقبلًا القبلة قيامًا طويلًا، فيدعو ويرفع يديه، ثم يرمى الجمرة الوسطى كذلك... ثم يرمى الجمرة ذات العقبة... ويقول: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل[١٥٨].

الرابع: خفض الصوت أثناء الدعاء بين المخافتة والجهر، قال عز وجل: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً...﴾(الأعراف:٥٥). وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكريا عليه السلام، حيث قال: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا﴾(مريم:٨). وقالت عائشة رضى الله عنها فى قوله عز وجل: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾(الإسراء:١١٠)، أى بدعائك[١٥٩].

الخامس: أن لا يتكلف السجع فى الدعاء، فعن ابن عباس قال: فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإنى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك، يعنى لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب[١٦٠]. فإن

حال الداعى ينبغى أن يكون حال متضرع، والتكلف لا يناسبه. والأولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة، وإلا فليدعو بما أفاء الله عليه.

السادس: التضرع والخشوع والرغبة والرهبة والتوسل بصالح الأعمال، قال تعالى: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(الأعراف:٥٥)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾(الأنبياء:٩٠). فذكر سبحانه المسارعة فى فعل الخيرات قبل التوجه إلى الله بالدعاء، فيدعو العبد ربه متوسلًا إليه بصالح الأعمال رغبةً وطمعًا فى رحمته وتأييده ونصره، ورهبة من عقابه وأملًا فى النجاة من عذابه... روى عبد الله بن عمر، عن رسول الله ﷺ قصة أصحاب الغار الثلاثة، حيث انحطت على فم غارهم صخرة، وكيف توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، ففرج الله عنهم تلك الصخرة فخرجوا من الغار(١٦١).

السابع: أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه، روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة. واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاءً من قلب غافلٍ لاهٍ)(١٦٢). وعنه أن رسول الله ﷺ قال: (يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى)(١٦٣)، وقوله: أنا عند ظن عبدى بى، أى بالغفران له إذا استغفر، وبالقبول إذا تاب، وبالإجابة إذا دعا... وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا دعا أحدكم فليعزم فى الدعاء، ولا

يقل اللهم إن شئت فاعطنى، فإن الله لا مستكره له)[١٦٤]. وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لى إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شىء أعطاه)[١٦٥].

الثامن: أن يلح فى الدعاء ولا يستبطئ الإجابة ولا يدعو بإثم أو قطيعة رحم، فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول: دعوت ربى فلم يستجب لى)، وعنه أنه قال ﷺ: (لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يُستجب لى، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء)[١٦٦]. وعن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل، أو كف عنه من السوء مثله، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم)[١٦٧].

التاسع: أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل والثناء عليه، ودعائه باسمه الأعظم، فلا يبدأ بالسؤال، وليتبعه بالصلاة على النبى ﷺ، ثم يسأله حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبى ﷺ. فعن دعائه باسمه الأعظم، روى عن عبد الله بن بريدة الأسلمى، عن أبيه، قال: سمع النبى ﷺ رجلًا يدعو وهو يقول: اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له

كفوًا أحد. قال: فقال ﷺ: (والذى نفسى بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى)[١٦٨]. وعن أنس، قال: دخل النبى ﷺ المسجد ورجل قد صلى وهو يدعو ويقول فى دعائه: اللهم لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام، فقال النبى ﷺ: (أتدرون بم دعا الله؟ دعا الله باسمه الأعظم، الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى)[١٦٩].

وعن الصلاة على النبى ﷺ قبل الدعاء وبعده، فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما، وأخرج الترمذى عن عبدالله، قال: كنت أصلى والنبى ﷺ وأبو بكر وعمر معه، فلما جلست بدأت بالثناء على الله، ثم الصلاة على النبى ﷺ، ثم دعوت لنفسى: فقال النبى ﷺ: (سل تعطه، سل تعطه)[١٧٠].

العاشر: أن يتأدب بالأدب الباطن وهو الأصل فى الإجابة: وهو التوبة ورد المظالم والإقبال على الله ﷻ بكنه الهمة، وهذا مع طيب المطعم والكسب الحلال، لقوله ﷺ لسعد بن أبى وقاص: (أطب مطمعك تجب دعوتك). وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين) فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(المؤمنون:٥١)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾(البقرة:١٧٢). ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث

أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟)[١٧١].

[١٠] التقرب إلى الله بالنوافل والسمو الروحى:

إن مما يقرب العبد من ربه ويقوى صلته به، ويزيد من سموه وصفائه الروحى، التقرب إليه سبحانه بالنوافل فوق الفرائض... فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى قال: من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطيته، ولئن استعاذنى لأعيذنه...)[١٧٢].

وهكذا، فعلى الآباء أن يدربوا أبناءهم على التقرب إلى الله بالنوافل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، ففى الصلاة مثلًا، يُعرّف الابن على أداء السنن مع الفرائض، ويوضح له فضل ذلك وثوابه، وفى الصيام يمكنه أن يعود صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء- مثلًا- مع والديه، أو نحوهما... على أن يكون كل ذلك ابتغاء وجه الله.

ثالثًا: الإخلاص فى المعاملات:

إن المفهوم الصحيح والشامل للعبادة يتعدى تلك الشعائر التعبدية، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج... إذ عبادة الله هى غاية

الوجود الإنسانى كله، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾(الذاريات:٥٦).

فتوضح هذه الآية أن غاية الوجود الإنسانى كله محصور فى العبادة لا يتعداها إلى شىء غيرها على الإطلاق، فالنفى والاستثناء هما أقوى صور الحصر والقصر فى اللغة العربية، ومعناهما النفى البات من جهة، والحصر الكامل من الجهة الأخرى: نفى أى غاية للوجود البشرى غير عبادة الله، وحصر غاية هذا الوجود كله فى عبادة الله.

ومن ثم لم ينحصر مفهوم العبادة فى نطاق الشعائر التعبدية وحدها... لأن شعائر التعبد لا يمكن ـ بداهة ـ أن تكون هى كل "العبادة" المطلوبة من الإنسان، فما دامت غاية الوجود الإنسانى ـ كما تنص الآية الكريمة ـ محصورة فى عبادة الله، فأنى يستطيع الإنسان أن يوفى العبادة المطلوبة بالشعائر التعبدية فحسب؟

كم تستغرق الشعائر التعبدية من اليوم والليلة؟ وكم تستغرق من عمر الإنسان؟... وبقية العمر؟ وبقية الطاقة؟ وبقية الوقت؟ أين تنفق وأين تذهب؟... تنفق فى العبادة أم فى غير العبادة؟ وإن كانت فى غير العبادة فكيف تتحقق غاية الوجود الإنسانى التى حصرتها الآية حصرًا كاملًا فى عبادة الله؟ وكيف يجوز للإنسان- من عند نفسه- أن يجعل لوجوده أو لجزء من وجوده غاية لم يأذن بها الله؟ إن الإنسان لا

يستطيع- مهما حاول- أن يقضى واجب العبادة المفروض عليه نحو الله من خلال الشعائر التعبدية وحدها- كما سبقت الإشارة- من صلاة وزكاة وصيام وحج.

إن الله فرض على الإنسان عبادة تناسب تكوينه وتناسب مهمته: تناسب طاقاته المتنوعة، والكبد الذى يعانيه، والكدح الذى يلازمه، وتناسب فى الوقت ذاته مواهبه التى اختص بها بين الكائنات، ومجالات نشاطه الواسعة، والأمانة التى يحملها... عبادة لا تعنيه فى شىء، ولا تكلفه ما لا يطيق، وتتسع فى الوقت ذاته حتى تشمل وجوده كله وعمره كله من لحظة التكليف إلى لحظة الموت، لا تند عنها لحظة واحدة من لحظات الوعى، ولا لمحة ولا خاطر ولا لون من ألوان النشاط... ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاى وَمَمَاتِى للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ...﴾(الأنعام:١٦٢-١٦٣).

تلك هى العبادة التى كلف بها الإنسان، تشمل الصلاة وكل الشعائر التعبدية والنسك، وتشمل معها كل الحياة... فالحياة كلها عبادة، والشعائر التعبدية إنما هى لحظات مركزة، ومحطات يتزود الإنسان فيها بالطاقة الروحية التى تعينه على أداء بقية العبادة المطلوبة منه، فيؤدى كل العمل- طيلة الحياة وحتى الممات- بروح العبادة لله.

والعمل فى واقع الحياة هو العبادة الدائمة، التى يقوم بها المسلم،

والتى يتزود- من أجل القيام بها- بذلك الزاد الروحى العميق الذى تمنحه إياه الشعائر التعبدية، حتى يقوم بها على صورتها الحقة، من الخلوص إلى الله، والتجرد إليه، والخشوع والخشية والاجتناب.

فالعمل يكون عبادة متى تمثل فيه أمران رئيسيان: التوجه به إلى الله، والالتزام فيه بما أنزل الله، ومن ثم يتحول لتوه إلى عبادة يتقرب بها إلى الله، ويستحق عليها الثواب من عند الله.

وبهذا النهج وحده؛ أى بأداء تلك العبادة الشاملة المتكاملة، التى تشمل الحياة كل الحياة، وحتى الممات، تتحقق غاية الوجود الإنسانى، ويكون الإنسان قد قام- قدر جهده- بالعبادة المطلوبة تجاه الله(١٧٣).

وهكذا، فالإسلام صريح فى اعتبار العمل عبادة، والمعاملات عبادة، مادام القلب يتجه فى ذلك إلى الله... فيوجه الإنسان عمله ومعاملاته نحو إرضائه سبحانه وتعالى، بلا رياء ولا استكبار ولا استهتار، عمل يشعر الإنسان فيه بالمسئولية عن صلاحه وصحته وجودته وإتقانه.

وطالما حرص الإنسان على الاتصال الدائم بالله والتقرب إليه، فإنه سيحب كل ما يحبه الله من خلق وعمل، وسيتجنب كل ما يبغضه الله من رذيلة ومنكر، فينعكس ذلك إلى سمو فى المعاملات والعلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان.

والأمثلة على كون المعاملات الخالصة لله عبادة كثيرة، ولا حصر لها:

- فسعيك على رزق أولادك وأهل بيتك بالحلال عبادة، وتؤجر عليها.
- وإعانتك للمحتاج ونصرتك للمظلوم عبادة.
- وبرك لوالديك عبادة.
- وصلتك للرحم عبادة.
- وحفظك لحقوق جيرانك عبادة.
- وإكرامك لضيفك عبادة.
- وتبسمك فى وجه أخيك عبادة.
- وإماطتك للأذى عن الطريق عبادة.
- وإصلاحك بين الناس عبادة.
- وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر عبادة.
- وزيارتك لمريض عبادة.
- وتشييعك لجنازة عبادة.
- ومواساتك لمصاب عبادة.
- ومعاشرة الأهل بالمعروف عبادة.
- ولبس المرأة للحجاب طاعة لله عبادة.

obeikandl.com

- وحسن تبعل المرأة لزوجها عبادة.
- وتزين الزوجة لزوجها عبادة.
- وإخلاص المرأة فى تربيتها لأولادها عبادة.
- وإخلاص الطالب فى استذكاره لدروسه عبادة.
- وإخلاص التاجر فى تجارته وعدم غش زبائنه أو استغلالهم عبادة.
- وإخلاص الطبيب فى معالجة مرضاه عبادة.
- وإخلاص المعلم فى تعليم طلابه عبادة.
- وإخلاص المحامى فى مناصرة الحق ورد الظلم عبادة.
- وإخلاص الشرطى والجندى فى حراسة وطنه عبادة.
- وإخلاص الصانع فى صناعته عبادة.
- وإخلاص الزارع فى زراعته عبادة.
- والجهاد فى سبيل الله عبادة، وتجهيز المحاربين فى سبيله عبادة.
- والذب عن الدين والدفاع عنه عبادة.
- والحفاظ على المال العام عبادة.
- وترك المنكر ابتغاء وجه الله عبادة.
- والحب فى الله عبادة، والبغض فى الله عبادة.

obeikandl.com

- وبالجملة: طاعة الله بالامتثال لأوامره والاجتناب لنواهيه عبادة... والتقرب إليه بفعل الخيرات وبأعمال البر والإحسان عبادة.

كل هذه الأعمال وغيرها عبادة، متى كانت النية فيها خالصة لله تعالى، فعن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنية) وفى رواية: (بالنيات)، (وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[١٧٤].

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم) وفى رواية: (لا ينظر إلى صوركم وأموالكم)، (ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[١٧٥].

وعن أبى أمامة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلًا غزًا يلتمس الأجر والذكر، ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: (لا شىء له). فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ: (لا شىء له). ثم قال: (إن الله- عز وجل- لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وابتغى به وجهه)[١٧٦].

ولكن ما العمل الذى يحبه الله، ويقبله، ويثيب عليه ثواب العبادة؟

حتى يقبل الله العمل، ويثيب عليه، فلا بد وأن يكون العمل طيبًا، ويكون العمل صالحًا، ويكون متقنًا، ويكون قرين الإيمان، وخالصًا لوجهه سبحانه وتعالى؛ لأن الله طيب ولا يقبل إلا طيبًا، لما رواه أبو هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الله بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله)[١٧٧].

والإسلام إنما يضع العمل الصالح فى منزلة سامية ومكانة رفيعة، ويعول فوز الإنسان فى حياتيه الدنيا والآخرة على أساسه؛ لذلك قرن الحق تبارك وتعالى فى أكثر من سبعين آية العمل الصالح بالإيمان. وجعل النجاح والفلاح والفوز بالدنيا والآخرة بذلك العمل. فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:٨٢). كما أكد سبحانه عدم الخسران فى الدنيا والآخرة بذلك العمل الصالح المقرون بالإيمان، حيث قال: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ (العصر:١-٣).

ويحب الحق تبارك وتعالى العمل المتقن، الذى يخلص فيه صاحبه ويتقنه، لقول رسوله الكريم ﷺ، فيما روته عنه عائشة

رضى الله عنها، أنه قال: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه)[١٧٨].

كما أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه وابتغى به صاحبه مرضاة الله، وأداه بالكيفية والطريقة التى ترضيه سبحانه.

وهكذا... على المربى أن يشعر المتربى بأن الله سبحانه وتعالى لا يقبل منه أى عمل إلا إذا كان خالصًا لوجهه، مبتغيًّا به مرضاته سبحانه، وأن يشعر المتربى بأن كل أعماله ومعاملاته تحتسب عند الله عبادة، ويؤجر عليها متى كانت النية خالصة لله، ومتى أتقنت وأديت بالكيفية وبالطريقة التى ترضيه سبحانه.

وليعلم المربى والمتربى أن كل عمل خالص لوجه الله فهو عبادة تقرب العبد من خالقه، وتزيد من صلته به، وترفع من درجته عند ربه... فهناك من يفعل الخير ويقدم مشاريع البر والإحسان ببناء مسجد، أو بإقامة دار لتحفيظ القرآن الكريم، أو بالمساهمة فى بناء مستشفى أو فى إقامة دار لرعاية الأيتام... وهناك من يكفل يتيمًا أو يطبع كتابًا كعلم ينتفع به أو يوزعه كصدقة جارية... وهناك من يكسو عاريًّا أو يطعم جائعًا... وهناك من يتصدق ولو بشق تمرة... فعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم.

ويمكن للآباء والمربين- هنا- تشجيع الأبناء وتعويدهم على فعل الخيرات، فيعين الابن ذا الحاجة على قضاء حاجته، ويساعد صديقه أو زميله فى الدراسة بممتلكاته الخاصة وبأدواته المدرسية مثلًا، ويساعد فى إيصال الصدقة إلى مستحقيها، أو يتصدق من مصروفه الخاص على فقير أو مسكين، أو يتبرع من مدخراته فى صندوق التبرعات، أو غير ذلك من مشاريع الخير والبر والإحسان.

obeikandl.com

هوامش الفصل الرابع

(٥١) عبد الحميد كشك: **بناء النفوس**، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، ١٩٧٩م، ص ص٢٨-٢٩.

(٥٢) البخارى (١)، مسلم (١٩٠٧).

(٥٣) أ- السيوطى: **الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير**، تخريج: محمد على جيلانى، القاهرة، المكتبة التوفيقية، د.ت، حديث(١٨٣٢).

ب- محمد ناصر الدين الألبانى: **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، حديث(٣٦٤٩).

(٥٤) محمد ناصر الدين الألبانى (١٣٣٥).

(٥٥) مسلم (٨)، أبو داود(٤٦٩٥)، الترمذى (٢٦١٠).

(٥٦) أبو الأعلى المودودى: **الحضارة الإسلامية أساسها ومبادئها**، ترجمة: محمد عاصم الحداد، بيروت، دار العربية، ط١٣٩٠،٢هـ/ ١٩٧٠م، ص١٣٥.

(٥٧) محمد قطب: **مفاهيم ينبغى أن تصحح**، القاهرة، دار الشروق، ط٨، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ص٢٠٧،١٩٤.

(٥٨) البخارى (١، ٥٢)، مسلم (١٩٠٧).

(٥٩) عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص١٨٧.

(٦٠) محمد قطب: مرجع سابق، ص ص٢٨٤-٢٨٥.

(٦١) أمير عبد العزيز: **فقه الكتاب والسنة**، ج١، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٤٩٢.

(٦٢) البخارى (٧)، مسلم (١٦).

(٦٣) مسلم (٨).

(٦٤) أ- مسلم (٨٢).

ب- النووى: **رياض الصالحين**، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٩٨٧م، حديث (١٠٧٨).

جـ- السيوطى (٣١٧٠).

(٦٥) الترمذى (٤١٣).

(٦٦) الألبانى (٥٩٨).

(٦٧) مسلم (٦١٢).

(٦٨) أ- البخارى (٣٤٦).

ب- النسائى: **سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية السندى**، بيروت، دار الكتب العلمية، جـ٢، د.ت، حديث (٢/ ٧١).

(٦٩) البخارى (٢٤٠، ٢٤١).

(٧٠) البخارى (١٥٥، ١٥٩)، مسلم (٢٢٦)، أبو داود (١٠٦).

(٧١) مسلم (٢٢٥)، الترمذى (٧٦).

(٧٢) أ- مسلم (٢٢٤)، مختصر صحيح مسلم (١٠٤).

ب- النسائى: **سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية السندى**، بيروت، دار الكتب العلمية، جـ١، د.ت، (١/ ٨٧).

obeikandl.com

(٧٣) البخارى (١٠٥٠)، أبو داود (٩٥٢)، الترمذى (٣٧٢) السيوطى (٥٠٠٨).

(٧٤) الترمذى (٣٦٢).

(٧٥) البخارى (١)، مسلم (١٩٠٧)، أبو داود (٢٢٠١)، الترمذى (١٦٤٧).

(٧٦) مسلم (٤٩٨).

(٧٧) البخارى (٥٧٨٢)، مسلم (٣٩٧).

(٧٨) البخارى (٧١٤)، مسلم (٣٩٤)، (الترمذى (٢٤٧).

(٧٩) الترمذى (٣١٢).

(٨٠) الترمذى (٣١٣).

(٨١) البخارى (٥٧٨٢)، مسلم (٣٩٧).

(٨٢) مسلم (٧٧٢)، أبو داود (٨٧١، ٨٨٦)، الترمذى (٢٦١).

(٨٣) مسلم (٤٩٨).

(٨٤) البخارى (٥٧٨٢)، مسلم (٣٩٧).

(٨٥) البخارى (٦٩٣)، مسلم (٣٩٢).

(٨٦) البخارى (٦٩٠).

(٨٧) البخارى (٧٧٠)، مسلم (٤٩٠).

(٨٨) مسلم (٧٧٢)، أبو داود (٨٧١، ٨٨٦)، الترمذى (٢٦١).

(٨٩) مسلم (٤٩٨).

(٩٠) الترمذى (٢٦٥).

(٩١) البخارى (٥٧٨٢)، مسلم (٣٩٧).

(٩٢) الترمذى (٢٨٤).

obeikandl.com

(٩٣) مسلم (٤٠٢).

(٩٤) البخارى (٧٨٨، ٧٩١)، مسلم (٤٠٣، ٤٠٤)، النسائى (٢/ ٢٤١) الترمذى (٢٨٩).

(٩٥) أ- مسلم (٤٠٥).

ب- أبو داود (٩٧٨).

جـ- **سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية السندى**، بيروت، دار الكتب العلمية، جـ٣، د.ت، حديث (٣/ ٤٨).

(٩٦) البخارى (٧٥١)، مسلم (٣٩٧)، أبو داود (٨٥٦)، الترمذى (٣٠٣).

(٩٧) البخارى (٧٨٥).

(٩٨) مسلم (٤٩٨).

(٩٩) الترمذى (٣).

(١٠٠) مسلم (٥٨٢).

(١٠١) مسلم (٥٨٢)، الترمذى (٢٩٥)، النسائى (٣/ ٦٢).

(١٠٢) أ- مسلم (٢٢٨).

ب- المنذرى: **الترغيب والترهيب**، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، حديث (٥٣٩).

(١٠٣) مسلم (٢٣٣). الألبانى (٦٤٥).

(١٠٤) البخارى (٤٩٧)، مسلم (٦٦٧)، النسائى (١/ ٢٣١)، الألبانى (٥٣٥).

(١٠٥) المنذرى (٥٣٣)، الألبانى (٥٧٩).

(١٠٦) مسلم (٤٨٢)، المنذرى (٥٦٥).

obeikandl.com

(١٠٧) مسلم (٤٨٩)، المنذرى (٥٦٧).

(١٠٨) مسلم (٢٣٤)، أبو داود (١٦٩).

(١٠٩) عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص ص ٢٣٩، ٢٤٣.

(١١٠) البخارى (٦٠٩)، مسلم (٦٥٠)، الترمذى (٢١٥).

(١١١) عفيف عبد الفتاح طبارة: **روح الصلاة فى الإسلام**، بيروت، دار العلم للملايين، ط١١، ١٩٨٠، ص ص٢١٩-٢٢٠.

(١١٢) عفيف عبد الفتاح طبارة: **روح الدين الإسلامى**، مرجع سابق، ص٢٤٥.

(١١٣) الترمذى (٤٠٧)، أبو داود (٤٩٥).

(١١٤) البخارى (٦٦٦)، أبو داود (٧٨٩)، السيوطى (٢٦٤٠).

(١١٥) النسائى (٢/ ٢٢٩-٢٣٠).

(١١٦) البخارى (٤٨٦)، مسلم (٥٤٣).

(١١٧) عفيف عبد الفتاح طبارة: **روح الدين الإسلامى**، مرجع سابق، ص٣٣٢.

(١١٨) القرطبى: **تفسير القرطبى**، (٢/ ٦٤٩-٦٥٠).

(١١٩) البخارى (٧)، مسلم (١٦).

(١٢٠) البخارى (١٧٦١، ١٧٧١)، مسلم (١١٥١).

(١٢١) مالك: **الموطأ**، تخريج وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقى، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت، حديث (٥٨).

(١٢٢) القرطبى: **تفسير القرطبى**، (٢/ ٦٥٠).

(١٢٣) عفيف عبد الفتاح طبارة: **روح الدين الإسلامى**، مرجع سابق، ص٢٤٧.

obeikandl.com

(١٢٤) البخارى (١٨٢٤)، مسلم (١١٣٦).

(١٢٥) مسلم (١١٢٧).

(١٢٦) مسلم (١١٢٩).

(١٢٧) البخارى (١٨٢٤).

(١٢٨) أمير عبد العزيز، مرجع سابق، ص٢٠٨-٢٠٩.

(١٢٩) البخارى (٧)، مسلم (١٦)، الترمذى (٢٦٠٩)، السيوطى (٣١٦٢).

(١٣٠) مسلم (١٣٣٧).

(١٣١) البخارى (١٤١٧، ١٥٣٠)، مسلم (١٢١٨).

(١٣٢) أ- مسلم (١٣٣٦).

ب- أبو داود (١٧٣٦).

جـ- الترمذى (٩٢٤).

د- النسائى: **سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية السندى**، بيروت، دار الكتب العلمية، جـ٥، د.ت، حديث (٥/ ١٢٠).

(١٣٣) البخارى (٤٦٣٩).

(١٣٤) الترمذى (٢٩١٠)، الألبانى (٢٧٧١).

(١٣٥) البخارى (٧).

(١٣٦) البخارى (١٣)، مسلم (١٦).

(١٣٧) البخارى (١٤)، مسلم (٤٤).

(١٣٨) البخارى (٦٧٣٥).

(١٣٩) البخارى (٦٧٣٩).

obeikandl.com

(١٤٠) البخارى (٦٧٣٨).

(١٤١) السيوطى (٨٨٠٩)، الألبانى (٢٩٥٩).

(١٤٢) الألبانى (٢٩٦٠).

(١٤٣) عفيف عبد الفتاح طبارة: **روح الدين الإسلامى**، مرجع سابق، ص ص١٩١- ١٩٢.

(١٤٤) الغزالى: **إحياء علوم الدين**، القاهرة، دار المنار، د.ت، (١/ ٥٠٩).

(١٤٥) البخارى (٥٨٣٢).

(١٤٦) الترمذى (٣٢٥٩).

(١٤٧) البخارى (٥٨٣٣).

(١٤٨) البخارى (٥٨٣٤).

(١٤٩) الترمذى (٣٣٧١).

(١٥٠) الترمذى، فى التعليق على الحديث (٣٣٧١).

(١٥١) الغزالى: **إحياء علوم الدين**، (١/ ٤٩٨-٥٠٣).

(١٥٢) الترمذى (٣٥٩٥)، أبو داود (٥٢١).

(١٥٣) مسلم (٤٨٢).

(١٥٤) الترمذى (٣٥٩٨).

(١٥٥) الترمذى (٣٥٥٦)، أبو داود (١٤٨٨).

(١٥٦) النسائى (٥/ ٢١٣، ٢٥٤).

(١٥٧) البخارى، باب رفع الأيدى فى الدعاء، (٥٨٦٥، ٥٩٠٤).

(١٥٨) البخارى (١٦٣٣، ١٦٣٤).

(١٥٩) القرطبى: **تفسير القرطبى**، (٦/ ٣٩٦٠).

obeikandl.com

(١٦٠) البخارى (٥٨٦٢).

(١٦١) البخارى (٢١١١)، مسلم (٢٧٤٣).

(١٦٢) الترمذى (٣٤٧٩)، السيوطى (٣١٦)، الألبانى (٢٧٣٨).

(١٦٣) البخارى (٦٨٥٦)، مسلم (٢٦٧٥)، الترمذى (٣٦٠٣).

(١٦٤) البخارى (٥٨٦٣)، مسلم (٢٦٧٨).

(١٦٥) مسلم (٢٦٧٩).

(١٦٦) مسلم (٢٧٣٥).

(١٦٧) الترمذى (٣٣٨١).

(١٦٨) الترمذى (٣٤٧٥).

(١٦٩) الترمذى (٣٥٤٤)، أبو داود (١٤٩٥).

(١٧٠) الترمذى (٥٩٣).

(١٧١) مسلم (١٠١٥).

(١٧٢) البخارى (٦٠٢١)، الأحاديث القدسية (٨١)، النووى (٣٨٦).

(١٧٣) محمد قطب: مرجع سابق، ص ص١٧٤-١٨٠،١٧٥، ١٨٥، ٢٠٤- ٢٠٥.

(١٧٤) البخارى (١، ٥٢)، مسلم (١٩٠٧) الترمذى (١٦٤٧)، أبو داود (٢٢٠١).

(١٧٥) مسلم (٢٥٦٤)، المنذرى (١٨)، الألبانى (٣٦٤٩).

(١٧٦) الألبانى (١٣٣٥).

(١٧٧) البخارى (١٣٢١)، مسلم (١٠١٤)، الترمذى (٦٦١).

(١٧٨) السيوطى (١٨٦١).

obeikandl.com